بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ

الصادقين

الإسلام محتاج الى جميع أبنائه

الأحد ٢٥ رجب ١٤٣٨ هـ / ٢٣ نيسان ٢٠١٧ م العدد ١٧١

نشرة نصف شهرية تصدر عن المكتب الاعلامي متخصصة بنقل أحاديث وخطابات وفتاوي وأخبار سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

يوم المبعث النبوي الشريف يوم القراءة العالمي

﴿علينا ان نواصل القراءة لنكون أمة حية حضارية متقدمة﴾

﴿المرجع الشيخ اليعقوبي﴾ (دام ظله)

ان الله تعالى يحب مخلوقاته ويشفق عليهم ويغضب لهم

روى الشيخ الطوسي (قدس) في اماليه بسنده عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (كان رجل شيخ ناسك يعبد الله في بني إسرائيل فبينا هو يصلي وهو في عبادته إذ بصر بغلامين صبيين إذا أخذا ديكا وهما ينتفان ريشه فأقبل على ما هو فيه من العبادة ولم ينههما عن ذلك، فأوحى الله إلى الارض أن سيخي بعبدي فساخت به الارض، وهو يهوي في الدردور(١) أبد الآبدين ودهر الداهرين(٢) أقول: هكذا يغضب الله تعالى لمخلوقاته كافة ويشفق عليهم ويطالبنا بنصرتهم ودفع الظلم عنهم والشفقة عليهم والانسان اكرم المخلوقات واشرفها فهو أولى بنصرته ودفع الظلم عنه، وقد أمرنا بالتأسي بالصفات الإلهية (تخلقوا بأخلاق الله) فينبغي لنا ان نتصف بهذه الصفات لانها مقياس القرب الإلهي كما في الحديث القدسي (الخلق عيالي فاحبُهم اليَّ أشفقهم على عيالي)(٣) والخلق مطلق أي كل المخلوقات ولا يختص بالإنسان. مثلا لما لاحظنا احتياج طلبة المدارس للكتب الدراسية بعد عجز وزارة التربية عن توفيرها شارك الغيورون المشفقون في حملة واسعة لتوفيرها وكذا ترميم المدارس وسد احتياجاتها فادخلوا الفرحة على آلاف التلاميذ ٢٠ ج١/ ١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٢/١٨.

(١) الدردور: موضع في البحر يجيش ماؤه فيخاف فيه الغرق، عن القاموس المحيط. (٢) بحار الانوار: ١٠٠/ ٨٨ ح ٦٧ (٣) دعائم الإسلام ج٢ ص٣٢٠ ح١٢٠٧. وشرح نهج البلاغة: ج٢٠ ص٢٤٠ الرقم ٨٩٢

كافئوا المحسنين على اعمالهم (٤)

وروى الخطيب البغدادي في كتابه المعروف (تاريخ بغداد): عن الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) انه كان مارا في حيطان ـ أي بساتين ـ المدينة فرأى عبدا أسودا بيده رغيف خبز يأكل ويطعم كلبه لقمة إلى أن شاطره طعامه في الرغيف)، ومثل الامام الحسن (عليه السلام) في منزلته الاجتماعية لا يهتم بعبد أسود معه كلب يأكل، لكن الامام الحسن (عليه السلام) توقف عنده (فقال له الإمام الحسن (عليه السلام) ما حملك على ما عملت وشاطرته؟ فقال الغلام: استحيت عيناي من عينه.) وفي رواية أخرى ان العبد قال: أشعر بضيق في صدري وكآبة فأردت ان أدخل السرور على هذا الكلب لعل الله تعالى يرفع عني هذا الهم بذلك (فقال الإمام (عليه السلام): غلام من أنت؟) أي سأله عن مالكه (فقال: غلام أبان بن عثمان، فقال: والحائط؟ قال: لأبان بن عثمان. فقال له الإمام الحسن (عليه السلام) أقسمت عليك لا برحت حتى أعود عليك. فمر على صاحب الحائط فاشترى الحائط والغلام معا، وجاء إلى الغلام، فقال (عليه السلام) يا غلام قد اشتريتك فقام الغلام قائما) أي قام ليذهب مع مالكه الجديد وهو الامام الحسن (عليه السلام) (وقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي. قال (عليه السلام): وقد اشتريت الحائط، وأنت حر لوجه الله، والحائط هبة مني إليك. فقال الغلام: (يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له(٥) هذه سيرة أهل البيت (عليهم السلام) فانهم لا يكتفون بفعل المعروف والإحسان الى الآخرين بل كانوا يكافئون من يقوم بفعل حسن ويكرّمونه بأضعاف ما قام به ليشجعوا على نشر المعروف وتحويله الى ظاهرة وثقافة عامة لدى المجتمع.

وعلى اتباع أهل البيت (عليهم السلام) التأسي بهذه الاخلاق الكريمة بأن يحسنوا في أعمالهم في سائر المواقع والمسؤوليات التي هم فيها.

فالطالب يبذل وسعه في المطالعة والمذاكرة حتى يحقق نتائج راقية يدخل بها السرور على أهله ومحبيه ويكون فخرا وعزا وطاقة هائلة لوطنه وشعبه.

والموظف يتقن عمله ويؤدي واجبه في كل الوقت المطلوب منه ولا يقصر في خدمة الناس واستيعابهم.

والمدرس يبذل وسعه في تعليم الطلبة والارتقاء بمستواهم العلمي ومساعدتهم في كل ما يحتاجون.

والمهندس يراعي شروط المتانة والامان والجدوى عند تنفيذ المشاريع ويكون امينا ونزيها، وهكذا.

هذا على مستوى احسان العمل، ويبقى علينا ان نتقدم خطوة أخرى بتشجيع المحسنين في أعمالهم ومكافئتهم، فالامام الحسن (عليه السلام) مع هيبته وجلاله وسمو مقامه في المجتمع بحيث اذا جلس على الطريق انقطع المارة وتهيّبوا المرور بين يديه، واذا مشى لم يبق أحد راكبا ومع ذلك تراه توقف عند العبد ولم يمرّ على هذا الموقف دون تكريم، اما الذين يثبّطون العاملين ويستهزئون بهمتهم وحركتهم الدائبة فهؤلاء لم يستفيدوا من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ولم يتأسوا بهم. ويكفي المحسنين في عملهم وسا ما يفتخرون به: محبة الله تعالى لهم ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ (البقرة:١٩٥).

(٤) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الطلبة والشباب العاملين في المنظمات الإنسانية يوم ١٠/ رجب/١٤٣٨ الموافق ٢٠١٧/٤/٨.
(٥) تاريخ بغداد: ٦/ ٣٤

درس نبوي: تذكّر دائماً شعار ﴿ثم ماذا؟ انه الموت﴾ (٦)

روى أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (أخبرني حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن جبرئيل (عليه السلام) نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض وقال: يا جبرئيل وما يكون بعد ذلك؟ قال: الموت، فقال: اذا لا حاجة لي في الدنيا، دعني أجوع يوما وأشبع يوما، فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع الى ربي وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده، فقال له جبرئيل: وفقت لكل خير يا محمد(٧) هذا الموقف منه (صلى الله عليه وآله) لمعرفته بحقارة الدنيا وهوانها وعدم استحقاقها للالتفات اليها مهما عظم المعروض منها ولو كان من حلال ولو كان من دون ان ينقص من قدره عند الله تعالى شيء فلنتأسى برسول الله (صلى الله عليه وآله) وليكن شعارنا (ثم ماذا؟ اليس هو الموت وفناء الدنيا وثرواتها) اذن لا قيمة لها، ولا أقل من العمل بهذا الشعار عندما تعرض لنا معصية والعياذ بالله لان نتيجتها النار.

فعندما تميل النفس الى شهوة ونزوة بغير ما أحلّ الله تعالى كالذي يحصل في أروقة الجامعات او الدوائر الرسمية فليخاطب نفسه وليقل لها: ثم ماذا؟ واذا دعاه غضبه أو أنانيته أو حسده أو حقده لظلم أحد فليكبح جماحه بسؤال ثم ماذا؟ واذا خدعه موقعه ومنصبه ووظيفته ليمدّ يده على المال الحرام أو التجاوز على الحق العام أو الخاص فليتذكر ماذا بعد ذلك: انه الموت.

وبتعبير آخر: أنه عليك ان تحسب النتائج قبل الاقدام على الفعل، فان كانت العاقبة سيئة أو أن الحاصل لا يستحق تبعة هذا الفعل فلا تقدم عليه، لان النتيجة المؤلمة اذا حصلت فان الندامة والتأسف لا ينفعان في إزالتها فتذهب لذة الفعل وما كان يرجو من وتبقى تبعته وشقاؤه والله المستعان.

هذا الشعار من القواعد الاساسية التي تستندون اليها في بناء مستقبلكم المعنوي وحياة الاستقامة التي يريدها الله تبارك وتعالى.

(٦) بتاريخ ١٢/ج٢/ ١٤٣٨ المصادف ٢٠١٧/٣/١١ (٧) بحار الانوار: ٤٢/ ٢٧٦

مسؤوليتنا عن رعاية عوائل الشهداء وايتامهم (٨)

نقل ابن شهر اشوب في كتابه (مناقب آل أبي طالب) رواية نذكرها ونمزج معها بعض الشرح للإيضاح، قال (نظر علي (عليه السلام) الى امرأة على كتفها قربة ماء) فكأنه استصعب هذه الحالة وان غيرته لم تسمح بأن يرى امرأة ضعيفة تحمل ثقلا، (فاخذ منها القربة فحملها الى موضعها، وسألها عن حالها) أي سبب تصديها لهذا العمل، الا يوجد عندها رجل ليقوم بهذا العمل (فقالت: بعث علي ابن أبي طالب صاحبي ـ أي زوجي ـ الى بعض الثغور) أي بعض مناطق القتال والجهاد (فقتل، وترك عليّ صبيانا يتامى، وليس عندي شيء، فقد ألجأتني الضرورة الى خدمة الناس) والتكسب بهذا العمل لإعالة نفسها واليتامى. (فأنصرف (عليه السلام) وبات ليلته قلقا) لوجود مثل هذه الحالة في رعيته وهو المسؤول الأعلى عنهم ويأمره حصل ما حصل وإن كان هو الحق بعينه (فلما أصبح حمل زنبيلا فيه طعام) وهو رئيس دولة مترامية الأطراف وأمير المؤمنين (فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال: من يحمل وزري عني يوم القيامة؟) وليس في صحيفة علي (عليه السلام) أي وزر لأنه من أهل البيت (عليهم السلام) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهو (عليه السلام) مع الحق والحق معه ولكنه يعتبر نفسه مسؤولا عن هذا الواقع ويحب ان يعتذر الى ربه بهذا التواضع وحمل المواد الغذائية وهو شيخ تجاوز الستين من العمر قد أثقلته الهموم والمصائب (فأتى وقرع الباب، فقالت: من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد) لله تعالى وهي اشرف الاوصاف (الذي حمل معك القربة، فافتحي فإن معي شيئا للصبيان) ففتحت الباب وهي لا تشك أنه عبد مملوك لانها لا تتصور أن سيدا وجيها يمكن ان يقوم بهذا الفعل فضلا عن كونه أمير المؤمنين وهي لا تعرفه (فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب. فدخل وقال: إني أحببت اكتساب الثواب، فاختاري بين ان تعجنين وتخبزين وبين أن تغللين الصبيان ـ أي تلعبينهم وتلهيهم ـ لأخبز أنا، فقالت: انا بالخبز أبصر وعليه أقدر، ولكن شأنك والصبيان، فعللهم حتى أفرغ من الخبز. قال: فعمدت الى الدقيق فعجنته، وعمد علي (عليه السلام) إلى اللحم فطبخه، وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره، فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئا قال له: يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل مما أمر في أمرك) فهو (عليه السلام) يطلب منهم براءة الذمة مما سبب لهم (فلما اختمر العجين فقالت: يا عبد الله أسجر التنور فبادر لسجره فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الأرامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه فقالت ـ لأم الايتام ـ ويحك هذا أمير المؤمنين، فقال: فبادرت المرأة وهي تقول: واحيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال: بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك)(٩). وبقي هاجس وجود الأرامل والايتام وشعوره بمسؤولية رعايتهم والشفقة عليهم واللوعة مما حلّ بهم يؤرق عليا الى آخر حياته فكان في وصيته عند استشهاده لولديه الحسنين (عليهما السلام) (الله الله في الايتام فلا تغبّوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم)(١٠).

وواصل الامام الحسن (عليه السلام) تحمّل هذه المسؤولية من بعد أبيه وكان من شروطه على معاوية أن يوفر له مبلغا ضخما حدده له كل عام ليكفل به عوائل الشهداء مع أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

ثم ورثت العقيلة زينب (عليها السلام) هذا الشعور النبيل فبالرغم من عظم المصاب الذي حلّ بها من قتل أخيها الامام الحسين (عليه السلام) وبقية اخوتها واحبتها وويلات السبي والأسر وشماتة الاعداء وقطع المسافات الطويلة، الا ان كل ذلك لم يشغلها عن مسؤوليتها الجسيمة في رعاية عوائل الشهداء وحفظ الايتام ومداراتهم، وقد تجاوز عددهم الثمانين، وهذا المعنى ضمّنه المرحوم السيد رضا الهندي في قوله:

لم تلهو عن جمع العيال وحفظهم
بفراق اخوتها وفقد بنيها

من هذه الذكرى المشتركة لأمير المؤمنين وابنته العقيلة زينب (عليهما السلام) نريد أن نثير الانتباه الى هذه القضية الخطيرة فقد كثرت في مجتمعاتنا الأرامل والايتام وعوائل الشهداء بسبب الارهاب وظلم الطواغيت ومؤامرات المستكبرين وقد تصدى أبناؤنا لكل هؤلاء الأعداء فضحوا بأرواحهم من أجل حفظ كرامتنا وعزتنا ومقدساتنا ((والجود بالنفس اقصى غاية الجود)) الا انهم خلفوا أعزة مفجوعين بحاجة الى الرعاية، فعلينا جميعا ان نتأسى بأمير المؤمنين (عليه السلام) ونستشعر كلماته وزفراته واناته في الرواية المتقدمة ونتصدى لهذه المسؤولية.

ولا يكفي ان نواسي ذوي الشهيد بالمصاب ونقف معهم في المناسبة ونقدّم له دعما ماليا ومعنويا بل علينا مواصلة هذه الرعاية من جميع الجهات الى ان يبلغ الايتام سن الرشد ويستقلوا بأنفسهم فنتابع سيرتهم واخلاقهم ونحل مشاكلهم ونسعى بقضاء حوائجهم ونثقفهم ونعلمهم ونجعلهم من المتفوقين على اقرانهم، ففي الروايات أن أصحاب أمير المؤمنين كانوا يتمنون ان يكونوا أيتاما ليحظوا بما حظي به هؤلاء الايتام من رعايته الكريمة.

ولا شك ان هذا عمل ضخم واسع يحتاج الى انشاء مؤسسات تقوم به في جميع المدن ولا تكفي فيه الجهود الفردية، وان المسؤولية تتعاظم على الشخص كلما ازداد موقعه نفوذا وتأثيرا سواء على المستوى الديني او السياسي او الاجتماعي.

يروي(١١) العالم الجليل السيد هبة الدين الشهرستاني الذي كان ملازما للمرحوم الشيخ محمد تقي الشيرازي وهو المرجع صاحب الفتوى التي أعطت الضوء الأخضر لجهاد الإنكليز في ثورة العشرين وكان مقره في كربلاء ويقيم صلاة الجماعة في الحرم الحسيني الشريف، وفي احد الايام خرج الى الصلاة كعادته فرأى عدة نعوش يطاف بها فسأل عنها فقيل له انهم شهداء في الجهاد، فلما سمع ذلك اعتراه همّ شديد وقلق ولم يخرج الى الصلاة ثم سقط مريضا في الفراش وتدهورت صحته سريعا حتى مات ((رضوان الله تعالى عليه)) لأنه أحس بنفس آلام أمير المؤمنين وقلقه المذكور في الرواية المتقدمة.

إن هؤلاء الايتام اذا لم نحسن رعايتهم وتربيتهم وتعويضهم فانهم سيمتلئون احتقانا ونقمة على المجتمع ويكونون قنبلة موقوته يمكن تفجيرها في أي وقت ويصبحون لقمة سائغة للإرهابين والمنافقين والاعداء ليجنّدونهم في عصابات تحرق الأخضر واليابس.

فلنستشعر هذه المسؤولية الدينية والأخلاقية والوطنية والاجتماعية والله المستعان.

(٨) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) يوم ١١/ رجب / ١٤٣٨ الموافق ٩/ ٤/ ٢٠١٧ مع حشد المواكب الزينبية التي تحيي ذكرى وفاة العقيلة زينب (عليها السلام) وتجتمع في النجف الاشرف وتنطلق مشيا على الاقدام الى كربلاء.
(٩) بحار الانوار: ٤١/ ٥٢ عن مناقب آل أبي طالب: ٢/ ١١٤ فصل في حلمه وشفقته (١٠) بحار الانوار: ٧٥/ ١٢ (١١) تجارب العلماء في عصر الغيبة، ترجمة واعداد كمال السيد: ٢/ ٣٩٠

لا تيأسوا من التوبة والإصلاح

بشر الحافي من الزهاد العرفاء المشهورين وقيل انه من أولاد الرؤساء والكتاب وكان من أهل المعازف والملاهي فتاب ،وقد ادركه اللطف الإلهي ببركة الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام).

((في روضات الجنان ـ للخونساري: قال العلامة في منهاج الكرامة في سبب توبة بشر انه اجتاز مولانا الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام) على داره ببغداد فسمع الملاهي واصوات الغناء تخرج من الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الدرب، فقال (عليه السلام) لها: يا جارية صاحب هذه الدار حر أم عبد؟ فقالت: حرا فقال: صدقت لو كان عبدا خاف من مولاه، فلما دخلت قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما ابطأك؟ فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا ... فخرج حافيا حتى لقي مولانا الكاظم (عليه السلام) فتاب على يده واعتذر وبكى لديه استحياءا من عمله)).

وروي في سبب استحقاق اللطف بالتوبة ((انه أصاب في الطريق قطعة فيها مكتوب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ مرمية على الأرض، فاخذها واشترى بدراهم كانت معه غالية فطيّب بها الورقة وجعلها في شق حائط، فرأى في النوم كأن قائلا يقول: يا بشر طيّبت اسمي فلأطيّبن اسمك في الدنيا الآخرة، فلما اصبح تاب(١٢) وفي هذه الرواية اكثر من درس :

١ـ عدم اليأس من التوبة والرجوع الى الله تعالى فإن باب التوبة مفتوح فمثل بشر الحافي الذي كان غارقا في المعاصي والفجور وفي عيش رغيد يصبح بكلمة واحدة صدرت من قلب مخلص من كبار الزهاد العارفين، قال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ (الزمر:٥٣) وضرب الله تعالى مثلا ماديا لانبعاث الحياة المعنوية في القلب والنفس بكلمة طيبة او فعل حسن بعد موتها بالذنوب والمعاصي، قال تعالى ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (الحج:٥) وقال تعالى ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ (السجدة:٢٧) والجرز الأرض التي لا نبات فيها من الأصل.

٢ـ عدم التقصير في أداء فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واستثمار كل فرصة للقيام بها ولابد من اختيار الوسيلة المناسبة التي تؤثر في الآخر وتجلبه الى الهداية والصلاح من غير استفزاز واحتقار، فلنأخذ الدرس في ذلك من الامام موسى بن جعفر (عليهما السلام).

٣ـ عدم استصغار أي عمل خير او معروف فربما يكون هذا العمل سببا لنيل رضى الله تبارك وتعالى ولبركات تفيض عليه في الدنيا والآخرة، وفي الحديث (ان الله أخفى رضاه في طاعته) أي ان الطاعات التي توجب الثواب والأجر كثيرة لكن بعضها يوجب أكثر من ذلك وهو رضى الله تعالى ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ (التوبة:٧٢) ونحن لا نعلم ذلك البعض فلابد ان لا نقصر في أداء أي طاعة او احسان او خير لاحتمال كونه موجبا لرضوان الله تعالى.

(١٢) الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي: ٢/ ١٦٦

من مظاهر الكرم الالهي دعاء (اللهم لقنّي حجتي يوم القاك) (١٣)

من الاذكار المصاحبة لأفعال الوضوء الدعاء عند المضمضة (اللهم لقني حجتي يوم القاك) أي اللهم علمني وعرفني بالحجة التي انتفع بها وادافع بها عن نفسي يوم القيامة حين القاك وحين اقف للحساب على كل ما صدر مني في حياتي، والحاكم المطلق يومئذ هو الله تبارك وتعالى (مالك يوم الدين)، فالله تعالى يعلمنا أن نسأله تزويدنا بالحجج والاعذار والأدلة التي نقدمها بين يديه تبارك وتعالى لنتخلص من التبعات والاوزار التي جنيناها على أنفسنا.

إنه مظهر من مظاهر الرحمة والكرم الإلهي، فأيُّ قاضٍ وأيُّ خصم يعلم خصمه الجاني الظالم ما يخلصه من صاحب الحق، واذكر لكم بعض ما علمنا الله تعالى من هذه الحجج.

منها قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ (الانفطار:٦)، ففي الوقت الذي يعاتب الانسان بما هو انسان عاقل مدرك قد أختاره الله تعالى لخلافته وأكرمه وفضله على كثير ممن خلق وأغدق عليه ما لا يعدُّ ولا يحصى من النعم، ويسأله ما الذي دعاك أيها الانسان الى العصيان والتمرد وتجاوز الحدود، وما الذي اغراك بمخالفة ما أمرك به ربك الذي تولى تربيتك ورعايتك وصنعك بأحسن تقويم، في نفس الوقت يعلمه العذر لأنه تعالى يعلم ان الانسان لا يملك حجة يدافع بها عن نفسه وهو في حالة ذهول وخوف فعلمه الجواب الذي يعتذر به بان يطلق على نفسه سبحان وصف (الكريم) ليجيب الانسان على الفور (غرني كرمك يا الهي) وسترك المرخى عليّ وحلمك الطويل عني وعدم مؤاخذتي، ولو كانت العقوبة تأتي مباشرة لارتدع الناس، فالله تعالى يعلم أن العبد لا عذر له ولا حجة ﴿فلله الحجة البالغة﴾ (الأنعام:١٤٩) وفي دعاء امير المؤمنين (عليه السلام) المعروف بدعاء كميل (فلك الحجة علي في جميع ذلك ولا حجة لي فيما جرى عليّ فيه قضاؤك والزمني حكمك وبلاؤك)(١٤)

(ومنها) ما في دعاء الامام السجاد (عليه السلام) المعروف بدعاء أبي حمزة بقوله (الهي ان ادخلتني الجنة ففيه سرور نبيك (صلى الله عليه وآله) وان أدخلتني النار ففيه سرور عدوك، وانا اعلم ان سرور نبيك (صلى الله عليه وآله) أحبُّ اليك من سرور عدوك) لاحظ كيف يعلمك ماذا تقول بين يدي الله تعالى لتشملك الرحمة الإلهية لان الله تعالى كتب على نفسه الرحمة، فإنني يا الهي وان كنت مثقلا باوزاري وذنوبي التي احتطبتها على ظهري الا انني محسوب على نبيك (صلى الله عليه وآله) لأنني مسلم وموحد فان أدخلتني النار سيشمت بي الكافر والمشرك ويقولان ما فرقك عنا وماذا نفعك اسلامك وتوحيدك الذي كنت تدعونا اليه وأنت معنا في النار وان الله تعالى لا يرضى ان يسبّب الحرج والذلة والاهانة لعبد آمن به.

(ومنها) البيتان اللذان روي ان أمير المؤمنين (عليه السلام) كتبهما على كفن سلمان الفارسي عند وفاته في المدائن من المدينة المنورة وهما :

وفدت على الكريم بغير زاد
من الحسنات والقلب السليم

فحمل الزاد اقبح كل شيء
اذا كان الوفود على الكريم (١٥)

فهذا هو ما تقدمه بين يدي الله تعالى الاعتراف بتضييع العمر بتوافه الأمور والالتهاء بشواغل الدنيا الفانية، حتى وهو في عبادته تراه لاهيا عابثا مشغول البال وربما غير مخلص النية، ولم تتزود بما ينفعك ودلك عليه الله تبارك وتعالى ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ (البقرة:١٩٧)

عجزك عن تقديم أي شيء سوى حسن ظنك بالله تعالى وانه كريم ويقبح أصطحاب الزاد عند النزول ضيفا على الكريم، (الهي، ها انا اتوسل اليك بفقري اليك، وكيف اتوسل اليك بما هو محال ان يصل اليك)(١٦).

وورد في الروايات: ان الانسان يحاسب يوم القيامة فتترجح سيئاته ويؤمر به الى جهنم فيسوقه الملائكة وهو لا يقدر ان يدفع عن نفسه لكنه يلتفت الى وراءه حيث يجري الحساب فينادي لماذا تلتفت فيقول ربي اني كنت احسن الظن بك ان ترحمني وتجيرني من عذابك فيقول الله تعالى للملائكة انفذوا حسن ظنه بي ولا ترموه في النار وروي في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) (رأيت رجلا من أمتي على الصراط يرتعد كما ترتعد السعفة في يوم ريح عاصف، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته)(١٧).

بأمثال هذه الحجج تستدرّ عطف ورحمة أهل البيت (صلوات الله عليهم أجمعين) فانهم مظاهر رحمة الله تعالى وكرمه، روي ان النبي (صلى الله عليه وآله) لما دخل مكة فاتحا منتصرا، ومعه جيش ضخم، ومشركوا قريش اذلاء مهزومون قد طأطأوا رؤوسهم خجلا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث عذبوه وشردوه واتباعه وحاربوه وقتلوا أعزته وكان (صلى الله عليه وآله) مالكا لاعناقهم ومقتدرا على فعل ما يشاء بهم، ولو حكم عليهم بالاعدام لكان حكمه حقا وعدلا بجرائمهم الكبيرة والكثيرة، فسألهم: ما تظنون انني فاعل بكم؟ قالوا: اخ كريم وابن عم، فليس لهم شفيع عنده الا كرمه وانه وصول للرحم فقال (صلى الله عليه وآله): اذهبوا فانتم الطلقاء فعفا عنهم وأعاد اليهم مراكزهم التي كانوا فيها.

ويجب الالتفات اكيدا الى ان حسن الظن يجب ان يكون تأثيره ايجابيا بمعنى زرع الأمل والاندفاع في العمل وتجاوز الإحباط واليأس، وليس سلبيا بأن يكون سببا للتمادي في العصيان والوقوع في السيئات نعوذ بالله تعالى.

بهذه المعاني نحبّب الله تعالى الى الناس حتى يتعلقوا به تبارك وتعالى وهذا من أحب الاعمال الى الله تعالى، وان اثارة هذه المعاني تدعونا الى الاتصاف بها والعمل بموجبها تأسيا بالله تعالى ﴿ولله المثل الأعلى﴾ (النحل:٦٠) وآخذ بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ (المطففين:٢٦)

خصوصا نحن الحوزة العلمية وأتباع أهل البيت (عليهم السلام)، بأن نتحلى بكرم الاخلاق وسمو النفس حتى مع الخصم المتعدي نعلمه ما يحتج به علينا ويعتذر به الينا ولاينال ذلك الا بلطف الله تعالى وفضله.

(١٣) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من الفضلاء وطلبة الحوزة العلمية يوم ١٥/ج٢/ ١٤٣٨ الموافق ١٤/ ٢/ ٢٠١٧
(١٤) مفاتيح الجنان (١٥) العروة الوثقى: ٢/٧٦ (١٦) من دعاء الامام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة
(١٧) الامالي للصدوق: ٢٠٢/ ح ٣٤٢

تتمة درس نبوي في علو الهمة وطلب المعالي

لها حكمها فقال: لها موسى فلك حكمك، قالت: فإن حكمي أن أكون معك في درجتك التي تكون فيها يوم القيامة في الجنة فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما كان على هذا لو سألني ما سألت عجوز بني إسرائيل)(٢٤).

يعلمنا النبي (صلى الله عليه وآله) أن تكون هممنا عالية وطموحاتنا كبيرة ومطالبنا عظيمة كهذه العجوز التي لم تكتف بدخول الجنة وأصرت على ان تكون بدرجة النبي الرسول الكريم موسى بن عمران (عليه السلام)، لأننا انما نطلب من الله تعالى الواسع الكريم الذي لا تنفد خزائنه ولا يزيده كثرة العطاء الا جودا وكرما ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ (ص:٥٤) وان لا نجعل همنا في الامور الدنيوية الزائلة التي تذهب لذتها وتبقى تبعتها. فطالب العلوم الدينية لا يكون هدفه ان يستأكل بعلمه أو يطلب به الجاه بين الناس أو ليماري به الخصوم ويتغلب عليهم فيشعر بلذة الانتصار ونحو ذلك .والتاجر لا يكون همه مجرد زيادة أمواله وأرصدته حتى يشار اليه بالبنان بغض النظر عن مصادر هذه الاموال، وانما ليوظف ماله في طاعة الله تعالى ومساعدة المحتاجين والمشاركة في المشاريع الخيرية وصرفها في موارد البر والاحسان.

والذي يتبوأ موقعا حكوميا أو اجتماعيا لا يكون همه الاستعلاء والاستكبار والاستحواذ على المال العام بغير الحق وانما يبذل وسعه في اسعاد الناس وتوفير الحياة الحرة الكريمة لهم.

فلا ينبغي ان تكون عجوز بني إسرائيل أكثر بصيرة ومعرفة بحقائق الأمور منا وقد نهلنا من القرآن الكريم وعلوم أهل البيت (عليهم السلام) ولا شك ان الهمم العالية والطموحات الكبيرة تحتاج الى حركة دؤوبة وجهد مضني متواصل لتتحقق الثمرة بأذن الله تعالى، كما قال الشاعر:

واذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الاجسام

لكن هذا التعب والمعاناة سيذهب وتبقى الثمرة الطيبة والنتيجة المرضية عند الله تعالى.

ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويّها بلا تردد (١٨)

روى جابر قال: ((رجعت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مهاجرة البحر) وهم المسلمون الذين أمرهم النبي (صلى الله عليه وآله) بالهجرة الى الحبشة تخلصا من تعذيب قريش وملاحقتهم برئاسة جعفر بن أبي طالب ومكثوا هناك أكثر من عشر سنوات وعادوا في السنة السابعة من الهجرة الى المدينة (قال: (الا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة؟) قال فتية منهم: بلى يا رسول الله، بينا نحن جلوس، مرّت بنا عجوز من عجائز رهابينهم ـ أي رجال الدين المسيحيين ـ تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرّت بفتى منهم) وهو طائش ومغرور بشبابه وقوته قد أسكره الشباب والقدرة ونسي قدرة الله عليه، وبدل ان يشكر الله تعالى على هذه النعم فانه يستعملها في المعصية والظلم وهكذا يغتر الكثير بقوتهم وقدرتهم ويظهرونها على ضعاف الناس ومن لا حول لهم ولا قوة (فجعل احدى يديه بين كتفيها، ثم دفعها، فخرّت على ركبتيها، فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت، التفتت اليه فقالت: سوف تعلم يا غدرا ـ يوم القيامة ـ اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا) فتأثر النبي (صلى الله عليه وآله) ورقّ لحال العجوز وهي ليست على دينه وغضب من فعل الشاب الظالم (قال: يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (صدقت صدقت، كيف يقدّس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم)(١٩) والحديث مروي في كتبنا عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: (ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويها غير متعتع)(٢٠) فاذا أرادت الأمة أن تحيا كريمة عزيزة قوية مهابة فلابد ان تنتصف للمظلوم وتأخذ بحقه من الظالم، ولكي تصل الأمة الى هذا المستوى لابد ان تكون القوانين السائدة عادلة منصفة والجهة التي تشرّعها خبيرة تراعي المصالح العليا للعباد والبلاد وتعمل ضمن الشريعة الإلهية، وأن تكون السلطة التنفيذية مهنية مخلصة نزيهة كفوءة يكون همها وهدفها خدمة الانسان وسعادته وكرامته.

وأن تكون السلطة القضائية حافظة للحقوق العامة والخاصة لا تفرط فيها تحت ضغط التهديد او الترغيب او الميل او الهوى او المجاملة والمداهنة والصفقات المتبادلة ولا غير ذلك .وان يكون الاعلام بصيرا دقيقا متابعا يرشد العمل ويشخص الخلل ويثني على الاحسان، فكم من قضية إنسانية او مظلومية او فساد غضّ المسؤولون الطرف عنه وعقدوا الصفقات لتقاسم الكعكة لكن الاعلام لما فضحهم اضطروا لأنصاف المظلوم وتقويم الاعوجاج بمقدار ما. وقبل هذا وذاك لابد ان تسود المجتمع ثقافة نصرة المظلوم والضرب على يد الظالم لتشكل هذه الثقافة حصانة من الانحراف ولان السلطات المذكورة نتاج هذا المجتمع وثقافتها وسلوكها منه، وأهم قنوات هذه الثقافة والمعرفة: الدين الذي هو منظومة من العقائد والأخلاق والاحكام والسنن التي تعصم الانسان من الوقوع في الخطأ والخطيئة والضلالة والانحراف والظلم.

ولا نقصد بالدين مجرد الشكليات الظاهرية بل حقيقته وجوهره الذي يظهر على شكل سلوك عفيف وقلب سليم ونظرة بصيرة وحكيمة، والا فان كثيرا من الموصوفين بالتدين الظاهري على مستوى المظاهر وإقامة الشعائر الدينية الا انه في سلوكه ابعد ما يكون عن الدين، سواء في علاقته مع أهله او في عشيرته او في وظيفته او في عمله او علاقاته وغير ذلك، ولا يكون محضره خيرا ولا يأمر بمعروف ولا ينهي عن منكر بل يجامل ويداهن على حساب الحق.

روى صاحب كتاب المناقب انه (رجع علي (عليه السلام) الى داره في وقت القيظ ـ والصيف حار شديد الحر في الكوفة والامام (عليه السلام) شيخ تجاوز الستين من العمر وقد